



دور أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن

نویسنده: معرفت، محمد هادی

علوم قرآن و حدیث :: رساله القرآن :: تیر 1371 - شماره 9

از 71 تا 84

آدرس ثابت : <http://www.noormags.com/view/fa/articlepage/4915>

دانلود شده توسط : جعفر رضانی

تاریخ دانلود : 1393/06/04 01:25:18

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانین و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.com

دور أهل البيت (عليهم السلام) في القرآن

الشيخ محمد هادي معرفة



تفسير كتاب الله العزيز

وتأويله، وحفظه وحراسته

لأهل البيت، آل الرسول (صلى الله عليه

وآله وسلم) دور خطير في مختلف شؤون

القرآن الكريم، في تفسيره وتأويله،

وتبيين معانيه، والإحاطة بمبانيه... .

كدورهم في حفظه وضبطه وحراسته عن

الضياع والتغيير طول عمر الإسلام.

كان عليّ (عليه السلام) رأس كتبة

الوحي، وأجمعهم للقرآن، وأعرفهم

بالتنزيل والتأويل، وأعلم الصحابة

بمعاني القرآن والإحاطة بمقاصده

ومراميه، وأحرصهم على حفظه

وحراسته، شهد بذلك التاريخ وكتب

الحديث.

وقد مضى شطر من الحديث عن

مواقف الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

من القرآن الكريم في مختلف أطواره

وأدواره منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وآله

وسلم) فإلى آخر أيام حياته الكريمة.

كان (عليه السلام) مثل النبيّ (صلى الله

عليه وآله وسلم) ومثله الظاهر، بل ونفسه

الكريمة، المتمثل فيها شخصية الرسول

الكاملة، سوى أنّه ليس بنبيّ... . وقد قال

له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إنك تسمع ما أسمع، وترى ما

أرى، إلا أنّك لست بنبيّ... .»^(١)

ومعنى ذلك أنّه (عليه السلام) كان له

ذلك الحسّ المرهف الرقيق الذي كان

يؤهله للإستماع إلى الملا الأعلى كما في

الأنبياء (عليهم السلام).

قال الإمام أبو جعفر محمد بن عليّ

الباقر (عليه السلام): «إنّ العلم الذي نزل مع

آدم (عليه السلام) لم يُرْفَع، والعلم يتوارث؛

وكان عليّ (عليه السلام) عالم هذه الأمة، وإنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله...».

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):
«إننا - أهل البيت - شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم...» (٢).

نعم، إنهم (عليهم السلام) فروع تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت - هو مقام النبوة وموضع الرسالة... - وفرعها لا يزال يتصاعده في السماء، «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ»، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً...».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
«إن لعليّ علماً بكتاب الله وسنتي ليس لأحد من أمّتي، يعلم جميع علمي؛ إن الله علّمني علماً لا يعلمه غيري، وأمرني أن أعلمه عليّاً ففعلت...»، وإن الله علّمه الحكمة وفصل الخطاب...» (٣).

ومن ثمّ كان باب علم النبيّ ومفاض حكمته (٤)، وقد علّمه ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب (٥).

قال (عليه السلام): «وليس كلّ أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يسأله

فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم...»، وكنت أدخل عليه كلّ يوم دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار. وقد علم أصحاب رسول الله أنّه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري...؛ إذا أسأله أجابني، وإذا سكّ أو نفذت مسألي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرانيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني؛ فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها. وعلمني تاويلها، فحفظته وأملاه عليّ فكتبته...؛ ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وفقهاً وحكماً ونوراً، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى...» (١).

إذن، فلا غرو أن يكون (عليه السلام) اعلم الأمة بالقرآن تنزيله وتاويله... .

أخرج ابن عساکر في تاريخه بالإسناد إلى أبي الطفيل قال: سمعت عليّاً (عليه السلام) وهو يخطب الناس، فقال: «يا أيها الناس! سلوني؛ فإنكم لا تجدون أحداً بعدي هو أعلم بما تسألونه منّي، ولا تجدون أحداً أعلم بما بين اللّوحين منّي، فسلوني...».

وقد عقد ابن عساکر باباً ذكر فيه

فيقرؤه إياها ويعلمه تأويلها... الأمر الذي ينبؤك عن مبلغ حرص النبي على تربية علي وتعليمه الكتاب والحكمة، مما لم يحظ به غيره من الأصحاب... ومن ثم كان أقرأ أصحاب النبي وأعلمهم بالتنزيل والتأويل، وأصبح مرجع الصحابة، سواء على عهد (صلى الله عليه وآله وسلم) أم بعد وفاته.

يحدث أبو بكر بن عياش عن ابن مسعود أن رجلين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قرءا آياً من سورة الأحقاف، فاختلفا في القراءة... قال: فذهبت بهما إلى النبي، فغضب، وعلي عنده... فقال علي: «رسول الله يأمركم إن تقرءوا كما علمتم...» (١٢)

وعن زيد بن أرقم قال: جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أقراني عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، فاختلقت قراءتهم، بقراءة أيهم أخذ؟ قال: فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جنبه، فقال علي (عليه السلام): «ليقرأ كل إنسان كما علم، كل حسن جميل...» (١٣)

وفي حديث عبد الله بن مسعود: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسر إلى

أنه لم يقل أحد على المنبر سلوني عن ما بين اللوحين... إلا علي بن أبي طالب. (٧) والمراد بما بين اللوحين ما بين دفتي المصحف، كما في رواية أخرى عنه قال: أقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذات يوم حتى سعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أيها الناس! سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله ما بين لوجي المصحف آية تخفى علي فيما أنزلت ولا أين نزلت ولا ما عني بها...» (٨)

قال سليم بن قيس الهلالي (٩): جلست إلى علي (عليه السلام) بالكوفة في المسجد والناس حوله، فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرانيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلمني تأويلها...» فقال ابن الكوا (١٠): فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ قال: «بلى، يحفظ علي ما غبت عنه، فإذا قدمت عليه قال لي: يا علي! أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرؤنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلمنيه...» (١١)

فقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحفظ عليه (عليه السلام) ما فاته من نزول القرآن

عليّ (عليه السلام)، فقال عليّ: «إنّ رسول الله يأمركم أن يقرأ كلّ رجل منكم كما علّم. . .»، قال: فانطلقنا وكلّ رجل منا يقرأ حروفاً لا يقرؤها صاحبه. . .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. (١٤)

وفي رواية أبي جعفر الطبري بإسناده عن زرّ بن حبيش، عن ابن مسعود، قال: تمارينا في سورة من القرآن . . . فانطلقنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوجدنا علياً يناجيه . . . فقلنا: إنّنا اختلفنا في القراءة . . . فاحمرّ وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: «إنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم . . .»، ثمّ أسرّ إلى عليّ شيئاً، فقال لنا عليّ: «إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمركم أن تقرءوا كما علّمتهم. . .» (١٥)

الأمر الذي يدلك على مدى قرب منزلة عليّ (عليه السلام) من النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موضع نجواه، ولسانه الناطق بعلمه وباب حكمته. . .

وهكذا شهد كبار الصحابة شهادتهم بشأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

«كان الرجل الأوّل في العهد الأوّل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان موضع سرّه وعيبة علمه، كان أقرؤهم لكتاب الله، وأحفظهم لآياته الكريمة، وأعلمهم بتفسيره وتأويله. . .»

فقد أخرج ابن عساكر بإسناده إلى شقيق، عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر والباطن. . .

وأخرج عن عبيدة السلماني، قال: قال عبدالله بن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله منّي تبلغه المطايا. . . فقال له رجل: فأين أنت عن عليّ؟ قال: به بدأت، إنّي قرأت عليه.

وعن زاذان عن ابن مسعود، قال: قرأت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تسعين سورة، وختمت القرآن على خير الناس بعده، فقيل له: من هو؟ قال: عليّ بن أبي طالب. (١٦)

وأخرج أبو جعفر الطوسي عنه، قال: قرأت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعين سورة من القرآن، أخذتها من فيه. . .، وقرأت سائر القرآن على خير هذه الأمة وأقضاهم بعد نبيهم، عليّ بن

أبي طالب (صلوات الله عليه). (١٧)

وإذ ما عرفنا أنّ السور المكيّة لا تعدو ستّاً وثمانين سورة (١٨)، نعرف الوقت الذي بدأ ابن مسعود في تعلّم القرآن من عليّ (عليه السلام) كان وقتاً مبكراً يوم كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بمكة قبيل هجرته إلى المدينة أو بعدها بقليل... وهو وقت مبكّر جداً...

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن الضحّاك عن ابن عباس، قال: قُسم علم الناس خمسة أجزاء، فكان لعلّي منها أربعة أجزاء، ولسائر الناس جزء، وشاركهم عليّ في الجزء، فكان أعلم به منهم...

وعن سعيد بن جبير عنه، قال: إنّنا إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل به إلى غيره...

وفي رواية أخرى: إذا حدّثنا ثقة عن عليّ يقيناً لا نعدوه... (١٩)

وأخرج ابن طاووس عن طريق النقّاش عن ابن عباس، قال: وما علمي وعلم أصحاب محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في علم عليّ (عليه السلام) إلّا كقطرة في سبعة أبحر... (٢٠)

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى

مسروق بن الأجدع، قال: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة عليّ بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام أبو الدرداء... قال: فإذا التقوا سائل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة، وهو لم يسألهم... (٢١)

وبإسناد آخر، قال: ... فإذا التقوا سأل عالم الشام عالم العراق، وسأل عالم العراق عالم المدينة، ولم يسألهم... (٢٢)

وهذا يعني تفاوتهم في الدرجة، فأعلاهم درجة هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثمّ ابن مسعود، وبعده أبو الدرداء...

وبذلك نعرف حقيقة الوصف الذي جاء في كلامه الآخر عن الصحابة ودرجاتهم في العلم، قال: جالست أصحاب محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فوجدتهم كالإخاذا -يعني الغدير من الماء-، فالإخاذا يُروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المائة، والإخاذا لو نزل له أهل الأرض لأصدهم... (٢٣)

فإنّما عنى بالأخير مولانا

دور أهل البيت (ع) في القرآن

أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير... .

أخرج المفيد بإسناده عن أبي أمامة الباهلي^(٢٤) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «عليّ أفضلكم، وفي الدين أفقهم، وبسُنَّتِي ابصركم، ولكتاب الله أقرأكم...»^(٢٥)

وأخرج ابن عساكر بإسناده إلى أبي عبد الرحمن السلمي، قال: ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب الله من عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).^(٢٦)

وأخرج ابن الجزري عنه، قال: ما رأيت ابن أنثى أقرأ لكتاب الله تعالى من عليّ... . وقال: ما رأيت أقرأ من عليّ عرض القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو من الذين حفظوه أجمع بلا شك عندنا...^(٢٧)

قوله: «حفظوه أجمع...» أي: حفظوه في جميع وجوه نصاً ونظماً وترتيباً وتنزيلاً وتأويلاً... . وفي قوله: «عندنا...» إشارة إلى أن هذا مذهب كبار التابعين بشأن الإمام أمير المؤمنين... . ومن ثم فإنّه قد قرأ القرآن كلّهُ على عليّ (عليه السلام) على ما ذكره ابن شهر آشوب...^(٢٨)

وأخرج الحاكم الحسكاني عن ابن عباس، قال: دعا عبدالرحمن بن عوف نفرأ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحضرت الصلاة، فقدموا عليّ بن أبي طالب، لأنّه كان أقرأهم...^(٢٩)

وأخرج ابن عساكر بإسناده عن عبيدة السلماني، قال: صحبت عبدالله بن مسعود سنة، ثمّ صحبت عليّاً، فكان فضل ما بينهما في العلم كفضل المهاجر على الأعرابي...^(٣٠)

آل الرسول هم ورثة الكتاب وحملته وبذلك تعرف السرّ في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ...»^(٣١)، فعليّ حافظ القرآن وحارسه والمتعهد ببيانه وتفسيره... . ولا يفارق أحدهما الآخر... كما هو الشأن بالنسبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عهده... . وقد أشاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن عليّ (عليه السلام) في القرآن وموضعه من تفسيره، حيث قال:

«معاشر الناس! تدبّروا القرآن وافهموا آياته، وانظروا إلى محكماته، ولا تتبعوا متشابهاته؛ فوالله لن يتبين لكم

زواجه، ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي
أنا أخذ بيده...»، قد كان أخذ بيد عليّ
(عليه السلام) يوم غدیر خم... (٣٢)

وقد قال عليّ (عليه السلام) في وصف
أولياء الله الذي هو منهم ورأسهم: «بهم
علم الكتاب وبه علموا، وبهم قام الكتاب
وبه قاموا» (٣٣)، وقال: «إنَّ الله طهرنا
وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه،
وحجَّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن،
وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا
يفارقنا» (٣٤)

وقال -لما سأله عبيدة السلماني
وعلقمة والأسود عما أشكل عليهم في
القرآن-: «سألو عن ذلك آل
محمد...» (٣٥)

نعم، هم ورثة الكتاب وحملته...
قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ
اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، قال الإمام
أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق (عليه
السلام): «هم آل محمد...» (٣٦)

وفي حديث آخر أخرجه الصفار عنه
(عليه السلام)، قال: «نحن ورثة الكتاب
ونحن صفوته...» (٣٧)

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن عليّ
الباقر (عليه السلام) لعمر بن عبيد: «فإنما

على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل،
فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فلاهتداء بنا
وإلينا، يا عمرو!...» (٣٨)

وقال الصادق (عليه السلام) في قوله
تعالى: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ﴾، «كتاب الله الذكر، واهله آل
محمد، الذين أمر الله بسؤالهم، ولم
يؤمروا بسؤال الجهال...»، وسمي الله
القرآن ذكراً، فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ
لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣٩)

وقال: «إنَّا أهل بيت لم يزل الله يبعث
منَّا من يعلم كتابه من أوله إلى
آخره...» (٤٠)

وقال الإمام موسى الكاظم (عليه
السلام): «فنحن الذين اصطفانا الله، فقد
ورثنا علم هذا القرآن الذي فيه تبيان كل
شيء...» (٤١)

... إلى غيرها من أحاديث طفحت
بها كتب الفريقين، متفقة على أن الأئمة
من أهل البيت (عليهم السلام) هم المراجع
لفهم كتاب الله وحل ما أبهم من آياته
وبيان دلائله...

كما أجمعت كلمة المفسرين
المحققين على أن الذرية الطيبة من آل

الرسول هم ورثة الكتاب الذين اصطفاهم الله بعلمه وارتضاهم لغيبه.

وإليك إمامة قصيرة فاضت بها قريحة العلامة الكبير والناقد الخبير أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، فلقد أجاد وأفاد وأتى بالحقيقة وفق المراد:

قال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٦٧-٥٤٨) في مقدمة تفسيره: «وخصّ الكتاب بحمّلة من عترته الطاهرة، ونقله من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حقّ تلاوته، ويدرسونه حقّ دراسته، فالقرآن تركته، وهم ورثته، وهم أحد الثقلين، وبهم مجمع البحرين، ولهم قاب قوسين، وعندهم علم الكونين... والعالمون...».

وكما كانت الملائكة (عليهم السلام) معقبات له من بين يديه ومن خلفه تنزيلاً، كذلك كانت الأئمة الهادية والعلماء الصادقة معقبات له من بين يديه ومن خلفه تفسيراً وتأويلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فتنزّل الذكر بالملائكة المعقبات، وحفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله وتأويله، ومحكمه ومتشابهه،

وناسخه ومنسوخه، وعامّه وخاصّه، ومجمّله ومفصّله، ومطلقه ومقيّده، ونصّه وظاهره، وظاهره وباطنه، ويحكمون فيه بحكم الله من مفروغه ومستأنفه، وتقديره وتكليفه، وأوامره وزواجره، وأجاباته ومحظوراته، وحلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه... بالحق واليقين، لا بالظنّ والتخمين... أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب...

ولقد كانت الصحابة (رضي الله عنهم) متفقيين على أنّ علم القرآن مخصوص بأهل البيت (عليهم السلام)، إذ كانوا يسألون عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه): هل خصّصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟

وكان يقول: «لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا بما في قراب سيفي هذا...».

فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على إجماعهم بأنّ القرآن وعلمه وتنزيله وتأويله مخصوص بهم...

ولقد كان حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) مصدر تفسير جميع المفسّرين، وقد دعا له رسول الله (صلى الله

عليه وآله وسلم) بأن قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، تتلمذ لعليّ (رضي الله عنه)، حتى فقهه في الدين وعلمه التأويل...

قال: ولقد كنت على حداثة سنّي أسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعاً مجرداً، حتى وفقت فعلقته على أستاذي ناصر السنّة أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري (رضي الله عنهما) تلقفاً، ثمّ أطلعني مطالعات كلمات شريفة عن أهل البيت وأوليائهم (رضي الله عنهم) على أسرار دفينّة وأصول متينة في علم القرآن، وناداني من هو في شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة الطيبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾، فطلبت الصادقين طلب العاشقين، فوجدت عبداً من عباد الله الصالحين، كما طلب موسى (عليه السلام) مع فتاه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾، فتعلّمت منه مناهج الخلق والأمر، ومدارج التضادّ والترتيب، ووجهي العموم والخصوص، وحكمي المفروق والمستأنف، فشبعت من هذا المعاء الواحد دون الأمعاء التي هي مآكل

الضلال ومداخل الجهال، وارتويت من شرب التسليم بكأس كان مزاجه من تسنيم، فاهتديت إلى لسان القرآن، نظمه وترتيبه وبلاغته وجزالته وفصاحته وبراعته...

هم سدنة الدّين وحفظة الكتاب

أخرج أبو عمرو محمّد بن عمر بن عبد العزيز الكشي بإسناده عن إسماعيل بن جابر، عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يحمل هذا الدين في كلّ قرنٍ عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال جاهليين، كما ينفي الكير خبث الحديد»^(٤٢)

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤٥)، قال: «نزلت في أمة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصّة في كلّ قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، ومحمّد شاهد علينا...»^(٤٣)

وقد مرّ حديث سليم عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ الله طهرنا

وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه
وحجّته في أرضه، وجعلنا مع القرآن،
وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا
يفارقنا...» (٤٤)

وهذا المعنى هو المقصود من
حديث الثقلين (كتاب الله والعتره
الطاهرة) (٤٥)، وما ورد أنهم مع القرآن
والقرآن معهم... (٤٦)، فكانوا هم الشهداء
على الناس، والرسول عليهم شهيد. (٤٧)

وقد تحقّق منهم ذلك، عملاً بوصية
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد سهروا
(سلام الله عليهم) على حراسة الدين
والمحافظة على القرآن الكريم، دون أن
تنال منه يد إطلاقاتاً...: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، أي:
لحافظون له على أيدي الأئمة الهداة
الخلفاء المرضيين...

وفيما يلي عرض موجز عن مواقف
أئمة أهل البيت في حراسة كتاب الله
العزیز الحمید:

كان عليّ (عليه السلام) هو أوّل من قام
بجمع القرآن وضبطه وحفظه عن
الضياع، عملاً بوصية النبيّ (صلى الله عليه
وآله وسلم) أوصى إليه: «يا عليّ! القرآن
خلف فراشي في الصحف والحريير

والقراطيس -أي مفرقة لا نظم بينها
ولا تاليف-، فخذوه وأجمعوه
ولا تضيعوه، كما ضيّع اليهود
التوراة...».

قال الإمام الصادق (عليه السلام):
«فانطلق عليّ (عليه السلام)، فجمعه في ثوب
أصفر، ثمّ ختم عليه في بيته، وقال:
لا أردي حتى أجمعه...» (٤٨)

وأخرج الحافظ القندوزي بإسناده
إلى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في
خطبة طويلة، قال فيها: «... أنا جامع
القرآن...» (٤٩)

ثمّ كان هو الذي أشاد بذكر القرآن
وبيان تفسيره وتأويله، وتربية علماء
مدربين من أصحابه وذويه على القراءة
والإقراء والتفسير وبيان معاني
القرآن...

أخرج أبو جعفر محمّد بن الحسن
الصفّار بإسناده إلى أنس بن مالك،
خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه
[صلى الله عليه وآله وسلم] قال لعليّ (عليه السلام):
يا عليّ! أنت تعلمّ الناس تأويل القرآن بما
لا يعلمون...، فقال: ما أبلغ رسالتك
بعدك يا رسول الله؟! قال: تخبر الناس
بما أشكل عليهم من تأويل القرآن... (٥٠)

الخالدة: «لا يُهاج القرآن بعد اليوم...» .
 الأمر الذي حال دون سلامة القرآن
 عن أيّ تغيير أو تبديل أو تحريف، ليبقى
 سليماً مع الأبد... معجزة خالدة... .

مواقف حاسمة

لأنّمة أهل البيت (عليهم السلام) مواقف
 حاسمة دفاعاً عن كرامة القرآن المجيد،
 وحفظاً على سلامته من أيّ تغيير أو
 تبديل، لا في هجائه ولا في قرائته، لا في
 لفظه ولا في معناه، لا في تفسيره ولا في
 تأويله... وهكذا سهروا على حراسة
 هذا الكتاب العزيز عن طوارق الأيام... .

روى ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب
 الكليني بإسناده إلى محمّد بن الورّاق،
 قال: عرضت على أبي عبد الله جعفر بن
 محمّد الصادق (عليه السلام) كتاباً فيه قرآن
 مختّم معشّر بالذهب، وكتب في آخره
 سورة بالذهب، فأرینه إيّاه، فلم يعب فيه
 شيئاً إلاّ كتابة القرآن بالذهب! وقال (عليه
 السلام): «لا يُعجبني أن يكتب القرآن إلاّ
 بالسّواد، كما كُتِبَ أوّل مرّة...» . (٥٥)

وأخرج بإسناده إلى سفيان بن
 السّمط، قال: سألت أبا عبد الله الصادق
 (عليه السلام) عن تنزيل القرآن، قال: «أقرءوا

وقد أخذ عنه التفسير وسائر علوم
 القرآن كبار الصحابة ونبهاء الأمة، أمثال
 عبد الله بن مسعود، وقد أكمل تعلّمه
 للقرآن على يد الإمام أمير المؤمنين،
 حسبما عرفت. (٥١)

كما أنّ مثل ابن عباس - حبر الأمة
 وترجمان القرآن - كان جميع ما أخذ في
 القرآن، إنّما أخذه عن عليّ (عليه السلام). (٥٢)
 والقراءة المعروفة لدى جمهور
 المسلمين في جميع الأدوار والأعصار،
 والتي هي قراءة حفص، الذي قال منير
 الشاطبي: وحفص وبالإتقان كان
 مفضلاً... .

فإنّها هي القراءة التي أقرأه إيّاهما
 شيخه عاصم بن أبي النجود عن شيخه
 أبي عبد الرحمن السّلمي، عن الإمام
 أمير المؤمنين (عليه السلام)، إسناداً ذهبياً
 ما فوقه إسناد. (٥٣)

هذا فضلاً عن أنّ الإمام هو الذي
 أبدى رأيه في ضرورة توحيد المصاحف
 على عهد عثمان، حسبما مرّ عليك... (٥٤).
 وقد أقرّ فعل عثمان بعد ما تولّى الخلافة
 بعده، وأعلن رسمياً بالإبقاء على رسم
 القرآن في شكله الحاضر، من غير أن
 يُمسّ بيدٍ إطلاقاً... وقال كلمته الحاسمة

بن الحسين الصدوق بإسناده إلى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «تعلّموا القرآن بعربيّته، وإياكم والنبر فيه، يعني: الهمز»، قال الصادق: اهتمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي، مثل قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ﴾ (النمل: ٢٥)، وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ﴾ (التحل: ٥).^(٥٧)

ونحن قد تكلمنا عن مسألة النبر في القرآن... وأول نبر في القرآن من القراء هو الكسائي، عندما قدّمه المهديّ العباسي ليصلي بالناس في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فنبر في قراءته، فضجّ عليه الناس جرّاته على مخالفة النبيّ في مسجده وفي محرابه وعند قبره.^(٥٨)

وروى أحمد بن فهد الحلبيّ في عدّة الداعي بإسناده عن الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الجواد (عليه السلام) قال: «ما استوى رجلان في حسب ودين تطأ إلا كان أفضلهما عند الله عزّ وجلّ أدبهما!». قال الراوي: قلت: قد علمت فضله عند الناس في النادي والمجلس، فما فضله عند الله؟ قال: «بقراءة القرآن كما أنزل... ودعائه من حيث لا يلحق...».^(٥٩)

كما علّمتم...^(٥٦)، أي: ليقرأ كلّ إنسان كما علّم ما سبق في كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).^(٥٧)

ويبدو أنّ السائل إنّما عنى القراءات المعروفة، أيها توافق التنزيل؟ فأجابته الإمام بأنّ الواجب هي القراءة وفق النصّ المشهور الذي عليه جمهور المسلمين، ورثه الخلف عن السلف نقلاً بالتواتر عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يجوز غيره من القراءات المتفنّين فيها حسب أهواء القراء واجتهاداتهم، فيما أسلفنا في بحث القراءات...

وهذا وفق ما أخرجه الكليني أيضاً- عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «القرآن واحد نزل من عندي واحد، وإنّما الاختلاف يجيء من قبل الرواة...»^(٥٨)، أي: القراء الذين هم رواة نصّ الكتاب، حسب اجتهاداتهم، لا نقلاً مسنداً في الأكثر...

وبهذا المعنى روى بإسناده إلى سالم بن سلمة، قال: قرأ رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) -وأنا أستمع- حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤه الناس، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «كفّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس...».^(٥٩) كما روى أبو جعفر محمد بن عليّ

الهوامش

(١٥) تفسير الطبري ١: ١٢؛ جامع الأبطحي ١: ٢٧٩.

(١٦) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام أمير المؤمنين ٢: ٢٥٥-٢٦، ح ١٠٤٨ و ١٤٠٩ و ١٠٥١.

(١٧) أمالي الطوسي ٢: ٢١٩.

(١٨) راجع الجزء الأول من التمهيد: ١٠٤، ط: ١.

(١٩) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام أمير المؤمنين ٣: ٤٥-٤٦.

(٢٠) سعد السعود: ٢٨٥؛ والبحار ١٠٥: ٩٢، ح ٨٢؛ وجامع الأبطحي ١: ٤٨٤.

(٢١) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام أمير المؤمنين ٣: ٥١، ح ١٠٨٦.

(٢٢) المصدر: ٥٢، ح ١٠٨٧.

(٢٣) التفسير والمفسرون للذهبي ١: ٣٦.

(٢٤) هو: صُدِّي بن عجلان بن الحارث الباهلي، صحابي جليل، وقد قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين نزلت آية البيعة تحت الشجرة: «أنت منِّي وأنا منك...»، وكان ممن ثبت مع علي (عليه السلام) وشهد معه صفين، توفى سنة ٨٦ عن عمر جاوز المائة...

(٢٥) الأمالي: ٩٠، ح ٦؛ وجامع الأبطحي ١: ٢٧١.

(٢٦) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام أمير المؤمنين ٣: ٢٧، ح ١٠٥٢.

(٢٧) غاية النهاية ١: ٥٤٦، ح ٢٢٢٤.

(٢٨) قال: قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب (عليه السلام). أخرجه ابن شهر آشوب

(١) الخطبة القاصعة: ١٩٢؛ النهج ١: ٣٠١ (صبحي صالح).

(٢) الكافي الشريف ١: ٢٢١-٢٢٢.

(٣) في حديث طويل مع ابنته الصديقة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) رواه سليم في كتابه: ٧١.

(٤) مستدرک الحاكم ٢: ١٢٤.

(٥) بحار الأنوار ٨٩: ١٠٤.

(٦) كتاب سليم: ١٠٦.

(٧) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام أمير المؤمنين ٣: ٢٢-٢٥؛ وراجع الرقم ١٠٤٠.

(٨) المصدر: ٢٠، ح ١٠٣٦.

(٩) ذكره النجاشي في الطبقة الأولى من زمرة سلفنا الصالح، صاحب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، توفى مختفياً عن الحجاج، حدود سنة ٩٠.

(١٠) هو عبد الله بن عمرو اليشكري، عالم نسابة كبير، ومسائله مع الإمام أمير المؤمنين معروفة. قيل: كان خارجياً.

(١١) كتاب سليم برواية أبان بن أبي عياش البصري التابعي: ٢١٣-٢١٤؛ وراجع البحار ٤٠: ١٨٦، ح ٧٢. وجامع الأبطحي ١: ٤٨٤.

(١٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٤٢.

(١٣) تفسير الطبري ١: ١٠١.

(١٤) مستدرک الحاكم ٢: ٢٢٣-٢٢٤.

- (٤٤) أخرجه الصفار في بصائر الدرجات: ح ٨٢، ج ٦.
(٤٥) حديث متواتر؛ راجع جامع الأخبار والآثار للأبطحي ٥٨:٣.
(٤٦) بصائر الدرجات: ٥١٤، ح ١/٥؛ وكمال الدين للصدوق: ٢٨٤، ح ٣٧؛ والعياشي ١٤:١.
(٤٧) ورد ذلك في روايات مستفيضة؛ راجع الكافي الشريف ١: ١٩٠، فما بعد...
(٤٨) الجامع للأبطحي ١: ٤٢، عن تفسير علي بن إبراهيم القمي...
(٤٩) ينابيع المودة: ٤٠٥-٤٠٦.
(٥٠) بصائر الدرجات: ١٩٥، ح ٣.
(٥١) راجع: ابن عساكر، ترجمة الإمام ٣٦-٢٥:٣.
(٥٢) سعد السعود لابن طاووس: ٢٨٥؛ التفسير والمفسرون ١: ٨٩.
(٥٣) راجع: الجزء الثاني من التمهيد: ٢٥٢، ط: ٢.
(٥٤) راجع: الجزء الأول من التمهيد: ٢٨٨، ط: ١.
(٥٥) الكافي الشريف ٢: ٦٢٩، ح ٨.
(٥٦) المصدر: ٦٢١، ح ١٥.
(٥٧) مستدرك الحاكم ٢: ٢٢٣-٢٢٤.
(٥٨) الكافي الشريف ٢: ٦٣٠، ح ١٢.
(٥٩) الكافي الشريف ٢: ٦٢٣، ح ٢٣.
(٦٠) وسائل الشيعة ٤: ٨٦٥-٨٦٦، ح ١، باب ٢٠، أبواب قراءة القرآن...
(٦١) نهاية ابن الأثير ٥: ٧، راجع: التمهيد ٢: ٢٤، ح ٦٩، ط: ٢.
(٦٢) الوسائل ٤: ٨٦٦، ح ٢.
- في المناقب ٢: ٤٢.
(٢٩) شواهد التنزيل ١: ٢٣، ح ١٦.
(٣٠) تاريخ دمشق، ترجمة الإمام أمير المؤمنين ٤٩:٣، ح ١٠٨١.
(٣١) المستدرك للحاكم ٢: ١٣٦؛ وأخرجه أبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٧٥.
(٣٢) الجامع للأبطحي ١: ٤٦١-٤٦٢.
(٣٣) نهج البلاغة، خطبة ٤٣٢؛ والبحار ٦٩: ٢١٩، ح ٣٦.
(٣٤) بصائر الدرجات: ٨٢، ح ٦؛ والبحار ٢٣: ٢٤٢، ح ٣٦.
(٣٥) المصدر: ١٩٦، ح ٩.
(٣٦) بصائر الدرجات: ٤٦، ح ١٢؛ والبحار ٢٣: ٢١٧، ح ١٥.
(٣٧) المصدر: ٥١٤، ح ٣٣.
(٣٨) وسائل الشيعة ١٨: ١٤٩، ح ٦٤، عن تفسير فرات: ٢٥٩، ح ٣٥١.
(٣٩) بصائر الدرجات: ٤١، ح ١٩؛ والكافي ١: ٢٩٥، ح ٣.
(٤٠) البصائر: ١٩٤، ح ٦؛ وجامع الأبطحي ٤٧٨: ٣٣، ح ٣٣.
(٤١) بصائر الدرجات: ١١٤، ح ٣؛ والأبطحي ٤٨١: ١؛ والكافي ١: ٢٣٦، ح ٧.
(٤٢) رجال الكشي: ١٠ (ط: نجف)؛ والكبير: زق أو جلد غليظ ذو حافات ينفخ فيه العداد.
(٤٣) الكافي الشريف ١: ١٩٠؛ وهذا الذي جاء في الحديث هو أحد وجهي الآية الكريمة...
(٤٤) أخرجه الصفار في بصائر الدرجات: ح ٨٢، ج ٦.